

## ملخص

أدى السقوط المدوي للمنظومة الإشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي إلى اختلال كامل في معادلة موازيين القوى على الساحة الدولية. حيث تفردت الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة على رأس العالم مما أدى لانحسار حركات التحرر الوطني واليسار الثوري في العالم أجمع. رافق هذه التغيرات الهامة اختلال واضح في المفاهيم والرؤى، خصوصاً بعد أحداث 11 سبتمبر مباشرة، حيث أعلنت الحرب على الإرهاب وفقاً لقياسات وتعريفات البيت الأبيض. و كان نتيجة الطبيعة العدوانية للامبريالية الأمريكية ان اسقط مفهوم الارهاب تقريبا على كافة اشكال المقاومة ، وخصوصاً المسلحة منها ، التي تنتهجها الشعوب التي تعاني من العدوان. تم دمج جميع حركات التحرر الوطني في مختلف دول العالم " بالمنظمات الإرهابية المحظورة.

إن القضيتين الفلسطينية والإيرلندية لنماذج حية ومعاصرة لقضايا التحرر الوطني ذات الأبعاد الإثنية والكولونيالية والدينية المتشابكة. كما أنهما نموذجين لتاريخ صراع طويل تنوعت فيه أشكال المقاومة الشعبية والمسلحة والقمع الاستبدادي من المحتل في المقابل.

لقد عانت، ولا تزال، كل من إيرلندا وفلسطين الاستعمار الإستيطاني، السيطرة على الأرض وجميع موارد الحياة، إضافة إلى تمييز عرقي ديني عنصري في محاولة لإحلال شعب مكان آخر. تبلورت على إثره مباشرة حركات التحرر الوطني في محاولة للدفاع عن النفس والحق في الوجود. هذا وعلى إثر قنوط الطرفين من أي تعاون خارجي فعال، خصوصاً من المحيط الإقليمي (العرب في الحالة الفلسطينية، وإيرلندا الجنوبية في حالة إيرلندا الشمالية) تشكلت كل من منظمة التحرير الفلسطينية، الناطق باسم الفلسطينيين، وجيش التحرير الإيرلندي ، القوة الضاربة الأساسية في الحركة الوطنية الإيرلندية. وقد مثل كل منهما المقاومة المسلحة ضد المحتل الأجنبي ، لا فقط في عقر دار الأخير ، بل في كل ساحات المواجهة الممكنة في مختلف دول العالم. وقد تعاضم نشاط كل منهما العسكري في عقدي الستينات والسبعينات من القرن الماضي متخذاً أعلى أشكال العنف. إلا أنه تراجع بشكل ملحوظ في أواسط الثمانينات وبدايات التسعينات كنتيجة للتغيرات الأساسية على الساحتين الدولية والإقليمية. وقد كان ، ولا زال، عنف الدولة المحتلة المنظم بجيوشها النظامية ضد الشعوب المنتفضة قصة معاناة يومية للفلسطينيين والإيرلنديين.

وقد جاءت المفاوضات ومعاهدات السلام بين - فلسطين - إسرائيل، وإيرلندا- بريطانيا كنتاج منطقي للمقاومة ضد الاحتلال ، بأشكالها المتباينة بين عنف مسلح، وانتفاضات جماهيرية ، في نفس الحقبة الزمنية وتحت رعاية أمريكية.

إلا أن موقف تلك الأخيرة كان متبايناً جداً في كلتا الحالتين، حيث كان نسبياً داعماً مسانداً للطرف الإيرلندي كرد فعل للوبي الإيرلندي الكاثوليكي الضاغظ في الانتخابات الأمريكية. بينما كان معادياً للطرف الفلسطيني ، متحيزاً بلا مواربة للطرف الإسرائيلي كنتاج للوبي الصهيوني- المسيحي الضاغظ، وإضافة للمصالح الاستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط.

مع العصر الأمريكي الجديد، وصمت المقاومة المسلحة في كل من إيرلندا وفلسطين ضد الاحتلال " بالإرهاب" وأطلق العنان للطغمة العسكرية للدول المعتدية بأن تضرب بأقصى طاقاتها تحت مبرر وذريعة الدفاع عن النفس ومواجهة" الإرهاب".

بقراءة سريعة لتاريخ القضيتين نتبين أن المقاومة الشعبية العريضة ، المنظمة والسلمية قد أتت ثماراً أفضل على معظم المستويات، سواء الإعلامية ، التفاوضية والسياسية، وأحرجت الدول المعتدية حيث قدمت المعادلة في صورتها الواقعية والصحيحة: معتدي مسلح بأعلى مستوى عسكري في مواجهة مع شعب أعزل يقاوم الاحتلال ويطالب بحقه الشرعي والطبيعي في الوجود والاستقلال. في حين أن السلوك العسكري لكل من منظمة التحرير الفلسطينية كذلك الجيش الجمهوري الإيرلندي خصوصاً الموجه ضد مدنيين ، والذي أثار دوما الرأي العام العالمي ، بما فيه الدول الصديقة والداعمة لقضايا التحرر، تم استثماره دوماً بحنكة وذكاء من قبل الإعداء وبما يخدم صورتهم الإعلامية وبالتالي مصالحهم السياسية.

إن القضية الإيرلندية- البريطانية( والإيرلندية الداخلية : كاثوليك- بروتستانت) تقدم إشارات على حل سلمي و موضوعي ، كونها أيضاً قضية أكثر محلية. في حين زاد تعقيد القضية الفلسطينية - الاسرائيلية فمع إحجام إسرائيل عن تنفيذ الاتفاقية وإمعانها في مصادرة الأراضي والاعتقالات انفجرت انتفاضة الأقصى التي سرعان ما تحولت لانتفاضة مسلحة على غرار التجربة في لبنان ، والتي قدمت ذرائع لإسرائيل بالضرب بأقصى طاقاتها العسكرية ( خصوصاً مع الموقف الأمريكي المساند تماماً) وقامت بتفتيت وعزل المناطق الفلسطينية، وتشبيد جدار الفصل العنصري، وإضعاف أي فرصة حقيقية لبناء دولة فلسطينية متكاملة.

إن الواقع المحلي والإقليمي والدولي المعاصر يتطلب التصرف بحنكة وموضوعية. على الفلسطينيين أن لا يستجيبوا للاستفزات الإسرائيلية( والتي كانت استراتيجية اسرائيلية ثابتة) وأن لا يتصرفوا برد الفعل العنيف الذي يقدم المبررات للحكومة الإسرائيلية بالضرب بقوة، ويقدم الصورة للعالم كطرفين متنازعين شبه متساويين.

إن النضال الجماهيري السلمي المنظم يجرح إسرائيل ، ويجبرها على التعامل مع الاستراتيجيات الفلسطينية لا العكس، ويعيد القضية إلى مكانها الصحيح. كشعب أعزل في مواجهة طغمة عسكرية عدوانية معتدية، خصوصاً في زمن اختلت فيه المفاهيم، وراحت فيه الولايات المتحدة تفرض مفاهيمها على العالم.

أن عدالة القضية وحدها لا تكفي في مقياس صراع القوة، فتجارب شعوب كثيرة أثبتت ذلك، أن الحكمة السياسية المسلحة برؤيا استراتيجية واقعية سلوك صحيح ومباشر باتجاه تحقيق العدالة.

